الصورة البصرية ودورها في ترسيخ معارف العلوم الاجتماعية
كتاب التاريخ والجغرافيا والتربية المدنية
للسنة الثالثة ابتدائي أ نموذجا

- وصف وتقييم -

الدكتورة : شفيقة العلوي
قسم اللغة العربية وآدابها
المدرسة العليا للأساتذة – بوزريعة - الجزائر-

ملخـــص:

لا شك أنّنا لن نختلف إذا ما قلنا إنّ الصورة لا تحتاج دائمًا إلى المصاحبة اللّغوية اللّفظية حتى تنفذ إلى إدراك المتلقي، وتثري معرفته وتؤسّس لملكته اللسانية المستقبلية. إنها موضّحة للدّرس التعليمي وممهّدة له.

وعليه، فمن المفيد أن يُدرك المعلّم أنّ نجاح رسالته التّعليميّة وحسن تواصل المتعلّم مع الكتاب المدرسي وملازمته له إنّما يقوم أساسا على ربط الدّرس بالصورة التعليمية وحسن قراءة أبعادها،وتمثّل رموزها التي تترك لا محالة أثرا واضحا في ذاكرة المتعلّم، وتهذّب سلوكه وتنمّي قدراته . فالصّورةُ - إذًا - ترسّخ المعلومةَ .

الكلمات المفتاحية: الصورة البصرية - العلوم الاجتماعية - الصورة التعليمية - وظيفة الصورة في العلوم الاجتماعية.

Résumé :

Nul ne peut démentir que l'image n'a pas toujours besoin d'une explication linguistique pour atteindre l'entendement du récepteur, pour enrichir ses connaissances et renforcer ses capacités intellectuelles.

L'image illustre et introduit la leçon. Il est donc important que l'enseignant sache que son message éducatif et son adaptation avec le livre scolaire, sont essentiellement basés sur la relation entre la leçon et l'image optique éducative.

Les mots clés :
l'image optique- le livre scolaire – l'mage didactique-la fonction de l'image – l'image en sciences sociales.

مقدمة

لا ريب إنّه من الضرّوري اليوم في القرن 21 الذي تسوده ثقافة العولمة والمعرفة المستدامة والتقنيات التكنولوجية الحديثة اعتماد الصورة البصرية الثابتة أو المتحركة- مثل الرسومات والأشرطة الوثائقية أو الأفلام ــ كدعامة أساسية وبنّاءة لتفعيل النشاط التعلّمي.

إنّ اللّفظ بحاجة إلى الصّورة البصرية بكلّ أنواعها حتى يتمكّن من النّفوذ إلى عقل المتلقي/المتعلّم وينوّع معارفه ويهذّب وجدانه ويستنطق بواطنه. إنّ الإيمان بوظيفة الصورة ضرورة حتمية من أجل تحديث وعصرنة النشاط التّعلمي، والتقّليل بذلك من دور الذاّكرة اللفظية الاسترجاعية المعتمدة كوسيلة أساسية لترسيخ الرّصيد اللّغوي والمعرفي داخل النّشاط الصفي للقسم. وهذا من شأنه – إن لم يُحسن توظيفه – إنتاج عقول آلية ببغاوية تنعدم فيها روح المبادرة.

1. دور الصّورة والصّورة التعليمية البصرية:

إنّ الصّورة البصرية سواء أكانت فوتوغرافية أو يدوية، ثابتة أم متحركة، سوداء أو ملوّنة تعدّ وسيلة تواصلية وثقافة بصرية تعليمية. فهي الطريق الأيسر وغير المباشر لنقل المعرفة، واستدعاء النشاطات الفكرية وتقوية الذاكرة، لذا "**لزم أن يكون الاهتمام بالرموز البصرية على نفس القدر من الأهمية التي حظيت بها الرموز في اللغة اللفظية**"([1].) لأنهما وسيلتان تعليميتان متداخلتان تستدعيان بعضهما البعض.

لقد غدت الصّورة والصّورة التعليمية – على وجه خاص – أداة عالمية الهدف، تضمن التوّاصل المعرفي والإنساني عبر الزمان والمكان، وتثير الذاكرة الفردية والجماعية، كما تُنبه للسّلوكات المرفوضة وتسعى لتعديلها بما يتوافق مع المثل الاجتماعية والقومية "**فالصورة... هي العامل المشترك الأساسي في الغالبية العظمى من العروض الضوئية والمباشرة والكتب المدرسية، لذلك، فهي إحدى دعامات أيّ نظام تعلّمي**"([2]) ووسيلة وظيفية لتحقيق الكفاءات التحصيليّة الختامية ؛ ولذلك يدعو المنهاج التربوي للسنة الثالثة

ابتدائي المعلمين إلى ضرورة تدريب المتعلّم على استخدام الصورة والرّسم وحسن اختيارهما من أجل التّمييز بين مظاهر الطبيعة – مثلا- في الرّيف والمدينة واكتشاف مختلف التضاريس الجغرافية المحلية والوطنيّة على حد سواء([3])، فهي تضطلع بتحقيق الوظائف التالية:

1- إنّها تشجّع المتعلم/المتلقي على الملاحظة، وتدفعه دفعا نحو الاستنتاج الفعّال والتفكير النقدي الواعي الإيجابي والاستدعاء الحرّ.

2- إنّها مشوّقة ومثيرة لاهتمام المتلقّي برسوماتها الملوّنة المصاحبة للغة اللفظية الحرفية وخطوطها المتميزة التي تحمل دلالات خاصة، تزيد المحتوى توضيحا وترسيخا **"فالصّورة تكمن بدور رئيسي- في حمل الرسالة التّعلميّة، بحيث تجعل التعليم والتّعلّم نشاطين ناجحين فاعلين([4]).**

والصّورة بألوانها وخطوطها وأشكالها وأبعادها وأحجامها توضّح اللغة الحرفية وتزيل أيّ غموض قد يكتنفها. وتساعد المتعلم على استكشاف المحيط الخارجي الوطني والمحلي، وعلى فهم القيم الاجتماعية والانسجام مع الوضعيات التّعلّمية .

3- إنّها تحقّق التواصل الزماني والمكاني و الإنساني والروحي بين الأفراد والجماعات.

4- إنّها توضّح وتشخّص المفاهيم الصعبة .

5- إنّ الصّورة البصرية سواء التي يحضرها المعلّم أو المجسّدة في الكتاب المدرسي هي بحقّ تمثيل حيّ للواقع المعيشي وجزء مهم منه، فلا يجب – إذًا – أن تنحرف – أي الصّورة – عن هذا الهدف التعلّمي الاكتسابي التّبيل.

ولكي تتمكّن الصّورة البصريّة التعليميّة الثابتة التي يحتويها الكتاب المدرسي من أداء وظيفتها التربوية - (التعليمية،) - لابدّ أن تتوفّر فيها جملة شروط، أهمّها:

- أن يقتضيها الموضوع، فتتكامل مع اللّغة اللفظية ، وتقدّم توضيحات دلالية أكثر تفسيرا. وبذلك تملأ الحرف وتزيده وضوحا.
- أن تراعي الطاقة الاستيعابية للمتلقي وقدراته العقلية المتفاوتة والفوارق الطبقية الاجتماعية والثقافيّة.

- أن تكون واضحة لا مستغلقة، تساعد على بلوغ الهدف التعلّمي بيسر.
- أن تخلو ممّا قد يشتّت الذهن، وتثير المتعلّم وتمكّنه من التركيز على الأجزاء المهمة منها.
- أن تجدّد معارفه، وتدفعه دفعا نحو التفكّير الإبداعي الانتقائي.
- أن تخاطب وجدانه، وتُسحر كوامنه، فتغذّي بمحتواها البصري عقله في وقت زمني وجيز، يسبق اللغة الحرفية "**فإمداد الحياة للدروس العلمية الجافة يتوقّف على حسن استخدام الصورة التعليمية كمثير يجدّد النشاط الذهني للمتلقي،... إنّها عامل ارتباط للمعارف المتتابعة في حياة الفرد الثقافية**" ([5]). إنّها هيكل الكتاب وتضاريسه، وجسر يوصل الكلمة للذهن، فتُفهم وتُستحضر- "**فالذات المبصرة تجزّئ المعطى البصري، وتنظّمه داخل أشكال لتجعل منه دلالات وكيانات لغوية**" ([6]).

2. <u>دور الصورة البصريّة الثابتة في المنهاج التربوي للسنة الثالثة ابتدائي :</u>

إنّ صناعة كتاب مدرسي ليس بالأمر الهيّن، فهو يتطلّب تظافر الجهود، وتناسق الأهداف وتنوّع المصادر والباحثين من تربويين ولغويين ومعلّمين وفنانين ورسّامين. حتّى يُتمكن – في الأخير – من إخراج مدوّنة تربوية حرفية وبصرية عالمية الأهداف، واقعية المناهج، تعزّز فرص الاكتساب وتقوّم المهارات القبلية والبعدية، وتحقّق التوازن النفسي- اللّغوي والمعرفي لدى المتعلمين.

إنّ الكتاب المدرسي هو الواجهة التي تعكس أيّ تجديد في المناهج التعليمية والرؤى الإيديولوجية الوطنية. إنّه المرآة التي تعكس المجتمع بقيمه الروحية والمادية، بتغيراته الإيجابية والسّلبية بتقدّمه أو انتكاساته؛ لذلك كان لزاما على المشرفين على صناعته (أي صناعة الكتاب المدرسي) أن يحرصوا على الحضور النوعي الوظيفي للصورة البصرية لا الحضور الكمّي العددي الذي يثقلها، وقد ينفّر منه([7]) ، لقد كان المشرفون على صناعة الكتاب المدرسي – في الجزائر – واعين بأهمية ودور الصّورة، وهندسة ألوانها وتناسق أشكالها، فقد ورد في الوثيقة التربوية المرافقة للمنهاج " **تأكيد على دور الصّورة البصرية كوسيلة**

تعليمية ناجعة وفعالة من أجل توصيل الحقائق والأفكار وترسيخ الكفاءات، وشرح الدرس وتوضيحه، وهي أنواع متعددة"([8]) كالسبورة والأقراص المضغوطة (CD) والجهاز السّمعي البصري، والزيارات الميدانية، والمداخلات والبحوث الجماعية والجداريات والصحافة الحائطية...، لكن يبقى الأهمّ منها هو الصورة البصرية الثابتة والمتحركة على حدّ سواء.

إنّ الصورة البصريّة هي السّند البصري الذي يهيئ المتعلّم لوصف الموجودات والمشاهد المحيطة به ، ويبعث فيه الحيوية والنشاط والرّغبة في التّحدث والتّواصل وتقويم السلوكات. لذلك تقترح الوثيقة التربوية المرافقة لمنهاج السنة الثالثة من التعليم الابتدائي([9]) مخططا تعليميا يسعى لتحقيق كفاءة تحصيليّة ختامية تعتمد التعبير بالرّسم والصورة أداة أساسيّة لإنشاء وضعيات تعلّمية فعليّة تؤسّس البناء المعرفي الذّاتي للمتعلّم . وتصيّره متوقعا في محيطه القريب وقادرا على ترتيب الأحداث المألوفة على خط زماني ومكتسبا لهويته الوطنية والمحلية ، واعيا بمحيطه الاجتماعي ومستعدا لاستثمار السندات التربوية. إلا أن الملاحظ – في الواقع التعليمي- أن منهاج مواد العلوم الاجتماعية الموجه للسنة الثالثة ابتدائي – ورغم وعيه بأهمية التصوير والرسم كوسليتين تربويتين تمكنان من تحصيل المعارف الاجتماعية التاريخية وتنمية الروح الوطنية للمتعلّم واكتشاف محيطه وتوظيف المصطلحات الجغرافية البسيطة المكتسبة قصد التّعرّف على مظاهر الطّبيعة الريفية والمدنية –إلا أنّه لا يدعو – للأسف- المعلّمين إلى استغلال أدوات تعليمية وظيفية كالرسومات والتّصوير الثابت أو المتحرّك مثل أشرطة الفيديو ، الأقراص المضغوطة الكفيلة بالتّوثيق الأحسن للأحداث التّاريخية أو وصف المواقع الجغرافية([10]) .

3. الصّورة التّعليمية البصريّة ودرها في تحصيل معارف مادة التاريخ والجغرافيا للسنة الثالثة ابتدائي:

إنّ كتاب التاريخ الذي يُعدّ أوّل احتكاك للتلميذ مع العلوم الاجتماعية كنتيجة حتمية للإصلاح في قطاع التربية والتعليم، قد اعتمد في عرض وضعياته التّعليمية على ثنائية الصورة واللّون. فلا تكاد تخلو وحدة تعليمية من صور ثابتة مرسومة يدويا (بلغ عددها 23 صورة) أو مصوّرة فوتوغرافيا (بلغ عددها 65) والتي لا يُتمكّن منها إلا بحاستي البصر .

لقد زاوج الكتاب بين النمّطين، إلا أنّ النّوع الثّاني بدا غالبا ؛ولربّما يكمن السرّ في أنّ الصّورة الفوتوغرافية حيّة ومحسوسة، فهي انعكاس ضوئي مباشر للواقع، لا يضيف له ظِلالاً قد تشوّش الصورة، ولا يُنقص منه أبعادا قد تخفي حقيقة الأجسام ووجوه الشخصيات الوطنية . وهذا ما نلاحظه في صفحات (32، 40، 41، 67، 77، 79، 85)، حيث عرض الكتاب صورا للأماكن الجزائرية والتّحف الأثرية والشخصيات الوطنية، فكانت وظيفية في أهدافها المعرفية ، توقظ لدى المتعلم الحسّ الوطني ، وتوثّق صلته بماضيه الثّوري المجيد والتّعريف بالأمجاد الوطنية والشخصيات التاريخية . فالمتعلّم هاهنا يستمدّ مصادر المعلومة التاريخية من النّص الوصفي – الإخباري أو من الصورة المحسوسة التي تساعده على تنمية روح الملاحظة وتنظيمها ([11]) .

لقد كان عند المشرفين على صناعة هذا الكتاب وعي بأهمية الخط والمزاوجة بين ألوانه، فقد ورد الخط مستقيما غير منحن. يرسّخ مفهوم القوة والثبّات عند المتعلّم، فيستقرّ أمام الفقرات التي يقرأها ولا يتعجّل . ولقد أعطت الألوان لهذا الخط قيمة جمالية ومعرفية، إذ استخدم اللون الأسود عند عرض الأفكار السّطحية والأسئلة والجمل الإنشائية الممهّدة للموضوع . ثمّ انتقل إلى اللون الأزرق والبرتقالي والأخضر، فاللون الأزرق رمز السّكينة والدّافعية للتحّصيل والنّجاح، واللّون البرتقالي رمز الحرارة والجاذبية. وهي جميعا ألوان هادئة. وأمّا اللّون الأخضر فهو دليل البرودة والهدوء والسّكينة.

إنّ كتاب التاريخ لهذه المرحلة أحسن توظيف الألوان، فالمزج بين الألوان الفاتحة والقاتمة معا، وعدم الاكتفاء باللون المعتّم ضروريّ للتّلميذ. لأنّه يريح بصره ويزيل عنه الملل، ويجذبه نحو الكتاب ونصوصه، ويقف أمام فقراته مشدودا إليها متصفّحا إياها بنفس هادئة مطمئنة، فيتمكّن حينئذ من فهم مضامين الكتاب وتغيير السّلوكات التي تتنافى مع القيم المكتسبة.

إنّ الطريقة التّربوية - اليوم-هي التي تعتمد على النموذج البنائي للتعلّم الذي يجعل المتعلّم هو الفاعل الرئيسي- في مسار التعّلم ومحور نشاطاته. فإذا لاحظ وفهم دلالات الصور المتتالية والمتعاقبة أمامه وصل بعد الحوار والتحليل داخل القسم (النشاط الصفي) إلى

مرحلة التقويم والاكتشاف والنقد الواعي الاختياري ([12]). فالصورة المحسوسة أيسر طريق لمداعبة العقل والتّفس ، وهذا ما نلحظه جليا في كتاب التاريخ للسنة الثالثة ابتدائي.

وإذا انتقلنا إلى صفحة الغلاف الخارجي، نلاحظ غلبة اللّون البرتقالي بتدرجاته المتناسقة المتناغمة . وهو لون– حسب أهل الاختصاص – هادئ يولّد في النّفس الشعور بالسّكينة والجاذبية، إذ ينجذب تلميذ هذا الطور التّعليمي من الكتاب منذ الملامسة الأولى للغلاف الخارجي بسبب هيمنة لغة الألوان التي كانت أقرب زمنيا إلى نفسه من اللّغة الحرفية.

وتتوسّط الغلاف رسومات كخارطة الجزائر وصورة الأمير عبد القادر مؤسّس الدّولة الجزائرية. وقد بدت صورة بارزة ووظيفية التّموقع في تضاريس الكتاب متصدّرة اليمين. فهذا استخدام بنّاء، يربط التلميذ بمحطات تاريخية متباينة عرفتها بلاده الجزائر. ويعزّز في دواخله القيم الوطنيّة

والجميل في هذا الكتاب هو الاستخدام الوظيفي لألوان الكتابة ، التي تنوّعت بين بين الأسود عند عرض المحتوى التّعليمي المعرفي، والأزرق والبرتقالي والأخضر- والوردي عند كتابة العناوين الرئيسية والفرعيّة ؛ وكذا عند توجيه المعلّم والمتعلّم على حدّ سواء نحو المضامين المراد فهمها (أقرأ وأتساءل)، (ألاحظ وأجيب) أو اكتسابها وترسيخها (أستنتج) ، (أضيف لمعلوماتي) أو ترجيعها والتّدريب عليها (أختبر نفسي- في كراس المحاولة) ، بغية تثبيت المصطلحات التاريخية الجديدة على التلميذ في هذه المرحلة التعلّميّة مثل مصطلح الحدث الشخصي والاجتماعي أو مصطلح وحدات الزمن والفرق بينها([13]) .

إنّه لمن المفيد للمتعلّم في هذه المرحلة العمرية توجيهه عن طريق الكتاب إلى النشاطات التعليمية ، وجعله يمايز بينها من حيث الأهمية والنّوع دون أن يحتاج إلى مرافقة المعلّم وتوجيهه السّلطويّ الفوقيّ . وهذا ما نلاحظه في كتاب التاريخ للسنة الثالثة ابتدائي ؛ إذ صدّر كلّ عنوان لمهارة تعلّمية جديدة برسومات بصريّة يدويّة محسوسة ، تحثّ على القراءة وتكشف عن نوعية النشاط كصورة طفل يحمل بين ذراعيه كتابا وهو يقرأ ، أو توجّهه إلى المقارنة والتّحصيل من خلال صورة أخرى تتصدّر يمين العنوان الفرعي (ألاحظ وأجيب) (14) .

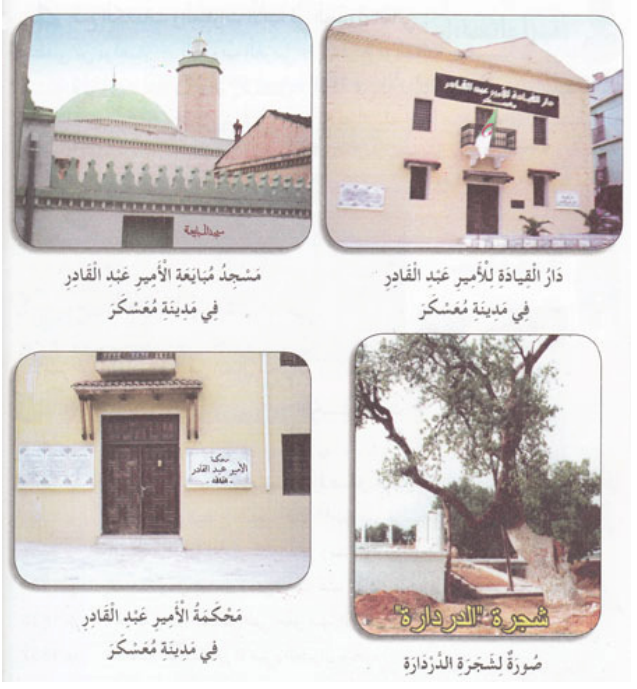

دَارُ الْقِيادَةِ لِلْأَمِيرِ عَبْدِ الْقَادِرِ فِي مَدِينَةِ مُعَسْكَرَ
مَسْجِدُ مُبَايَعَةِ الْأَمِيرِ عَبْدِ الْقَادِرِ فِي مَدِينَةِ مُعَسْكَرَ
مَحْكَمَةُ الْأَمِيرِ عَبْدِ الْقَادِرِ فِي مَدِينَةِ مُعَسْكَرَ
صُورةٌ لِشَجَرَةِ الدَّرْدَارَةِ

فهذا التّصوير وظيفي ؛ لأنّه يرفع الملل والرتابة ويضفي جمالا على صفحات الكتاب تزيد المتعلّم إقبالا نحوه .

إنّ التّاريخ رغم كونه مادة اجتماعية جافة لعلميتها ، وتعاملها مع الأحداث الزمانية البعيدة عن ذاكرة وحياة المتعلم ،إلاّ أنّ الإكثار من توظيف الألوان المختلفة والمتناغمة ، وبل وطغيان الصور المعبّرة عن الأحداث يسقط عن هذه المادة الاجتماعية ثقل علميتها وجفاف منهجها . فيعمل على ترسيخ المعرفة والمعلومات بطرق متباينة قد تكون اللغة اللفظية مثل عبارات (أستنتج ، أضيف لمعلوماتي) أو الصورة ـ كما يبدو من خلال صفحة 32 ؛ إذ تعاقبت أربع صور متقابلة تعرّف التلميذ بالأماكن التاريخية في معسكر أين جرت مبايعة الأمير

عبد القادر مثل (دار القيادة ، ومسجد المبايعة، ومحكمة الأمير عبد القادر ، وكذا شجرة الدردارة التي احتضنت المبايعة التاريخية) .

ولا يختلف حال النشاطات التقويمية عن الوحدات التعليمية المعرفية .فلم تخل هي الأخرى من توظيف الصور الحية الفوتوغرافية الدقيقة التفاصيل، والمنسجمة الألوان مثل صورة لبعض مؤسسات الدولة الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر، وصورة الكعبة الشريفة والحرم المدني اللذين اعتمدا كبوابة لتدريب المتعلّم على التقويم الهجري وتميزه عن التاريخ الميلادي، وصورة لمفدي زكريا وبعض شهداء الثورة وأبطالها الأوّلين.

فالصورة –إذًا – تبدو مناسبة للمحتوى التعليمي لتلميذ هذه المرحلة معرفيا وعمريا وعقليا.

4. الصّورة التّعليمية البصريّة في كتاب الجغرافيا للسنة الثالثة ابتدائي :

يقرّ المشرفون على صناعة هذا الكتاب على أنّ الهدف من بنائه هو تمكين المتعلّم من اكتساب مفردات ومصطلحات بسيطة تؤدّي إلى بناء الكفاءة القاعدية([15]) . ولأجل تحقيق هذه الغاية استعان الكتاب بالسندات الحسية المتنوعة والمتناسبة مع الوضعيات التّعلمية . وأهمّ السندات الصّورة البصرية الملوّنة.

لقد أكثر الكتاب من توظيف الصورة الثابتة لا المتحركة في جلّ صفحاته، فلا تكاد تخلو صفحة منه([16]) ، وكانت فوتوغرافية مباشرة، مشخّصة للأبعاد والأماكن والأجسام أكثر منها يدوية . ففي

الصفحة (26-27) عرضت صور لمظاهر الطبيعة المتنوعة من ريف أو مدينة، نخيل أو صحراء، أرض زراعية أو جبلية، ومصانع. وكان وصفا دقيقا يجول بالمتعلم بمختلف مظاهر الحياة الطبيعية المحيطة به والموجودة في المدينة أو الريف على حدّ سواء . فلم تترك هذه الصورة المتكاملة للمتعلم فرصة للبحث عن مظهر طبيعي قد يراه في وجوده المادي ولا تعكسه الصورة.

وإذا انتقلنا للغلاف الخارجي لهذا الكتاب، ووقفنا أمام طبيعة ألوانه وخطوطه، تستوقفنا ظاهرة تتقاسمها كتب الاجتماعيات الثلاثة (أي كتاب التاريخ، الجغرافيا والتربية المدنية)، وهي مبدأ ترسيخ القيم الوطنية في نفوس التلاميذ وربطهم روحيا بالراية الوطنية رمز السّيادة والحريّة.

فكتاب الجغرافيا تلونّت خطوط غلافه الخارجي باللّون الأخضر، الأحمر والأبيض التي تزيد المتعلّم فعلا إحساسا بالموقعية الجغرافية لبلده الجزائر، والانجذاب – بذلك – نحو الكتاب ونشاطاته التعليمية. فنظرا لأهميّة الصورة البصرية المحسوسة والملونة ، فإنّ الوثيقة التربوية المرافقة لمنهاج السنة الثالثة من التعليم الابتدائي تحثّ المعلّم على أن يراعي في أثناء تقويمه للكفاءة الختامية للمتعلّم عقب كلّ وحدة تعلميّة :

*الاستعمال الوظيفي أدوات المادة (الجغرافيا)

*مدى ملاءمتها للوضعية الإدماجية وانسجامها مع الموضوعات

* توظيف المتعلّم للرّسم والتّصوير وتطابق تعليقاته معها([17]) .

5. الصورة التّعليمية في الكتاب الجديد في التّربية المدنية للسنة الثالثة ابتدائي

يبحث هذا الكتاب لهذه المرحلة التعلّمية في مسألة الهويّة والمواطنة، ويسعى لتعزيز مفاهيم الحياة، الديمقراطية والروح الجماعية بين المتعلمين، ولذلك وظّف الكثير من الصّور البصرية الفوتوغرافية التي تعكس الأرض والبلاد بنسبة 87%، فهي تشغل كمّا هائلا منه؛ وحتى الغلاف الخارجي الذي يعدّ بوابته العلمية وحافظا له من التّمزّق روعي فيه نوعية الألوان وجاذبيتها.

لقد احتوى الكتاب ألوان الراية الوطنية (الأبيض، الأحمر والأخضر.)([18]) رمز السيادة والاستقلال والحرية، .فقد خُطّ عنوان الكتاب "الجديد في التربية المدنية" باللون الأبيض مدرجا داخل إطار مستطيل أحمر اللون، يدل عند النفسانيين والفنانين على صفاء النفس وراحتها، وبهذا يسهل انقياد المتعلم نحو الأثر المعرفي الجديد عليه في هذه المرحلة العمرية والعقلية . ولوّنت المساحة الباقية من الغلاف الخارجي بالأخضر ليُكسب المتعلّم الشعور بالهدوء والاسترخاء والسكينة.

إنّ هذا الانسجام اللوني يعزّز الهوية الوطنية للمتعلّم ويؤهّله نفسيا لاستلهام الملكة اللسانية للكتاب بكلّ ثقة.

ولكنّ المعيب في رسومات الغلاف الخارجي هو اللّون الأحمر الذي يحمل دلالات خاصة عند التّربويين . فهو رمز مثبّط . يدّل على العنف والثورة والقوة أو الفشل. وكأنّ صنّاع هذا الكتاب المدرسي (الجديد في التربية المدنية) يرهبون التّلميذ من هذا النّشاط التعلّمي "أي التربية المدنية"، فيضيع الهدف التربوي المنوط منه "**وهو انتقال التلاميذ من المادة المرئية في الصورة إلى ترجمتها في عبارات وألفاظ تدلّ عليها وتوضّح معناها، ويمكن للمعلّم أن يعالج هذا النوع من خلال عرض صور تمثّل مشاهد معيّنة أو استغلال الصّور الموجودة في الكتاب**" ([19]).

وبالرغم من احتواء الكتاب على كمّ هائل من الصّور الفوتوغرافية الحيّة التي تكاد تطغى على الرّسومات اليدوية إلا أن عدم وضوح معالمها (أي الصور الفوتوغرافية)، أضعف دورها . ففي الوحدة التعليمية **وطني الجزائر**([20]) نلاحظ ثراء من حيث التّوظيف البصري للصورة . لكنّها – للأسف – غير دقيقة وغير مكتملة الهندسة ؛ إذ لولا العناوين الجزئية التي يُذيّل بها أسفل الصورة لايتمكّن التلميذ في هذه المرحلة العمرية من اكتشاف تلك المناطق السياحية أو الأثرية التي يعرضها الكتاب كجامعة قسنطينة، أو الجامع العتيق بتلمسان أو جبال الشريعة المكسوّة بالثلج . فأمام هذه الصورة – مثلا – لا يفهم التلميذ حقيقة البياض الذي يلوّنها، فهل هو بياض الثّلج أم بياض الورقة النّاتج عن إخراج الكتب وطبعها.

فعدم وضوح معالم الصورة البصرية يفوّت – حتما – على التلميذ فهم المحتوى الاجتماعي للموضوع، وتضيع هنا فرص التعلّم ويتأخّر الاستنتاج الفكري والإدراك . فهذا قصورٌ بيّنٌ، أضعف الكتاب، رغم تأكيد المشرفين على صناعته على ضرورة اعتماد الصورة والرسومات المصاحبة للنّص كوسيلة أساسية لبناء التعلّمات قبل الوصول للمقاربة النصيّة التي تقوم على استكشاف النتائج لتدعيم وإثراء المعرفة البصرية للوصول بالمتعلّم إلى المهارة المعرفية والوجدانية([21]).

وإذا انتقلنا إلى صفحات 31، 32 من الكتاب، نجد أنّ صورها لا تعكس الموضوع تفسيرا أو تفصيلا، إذ تتعاقب أمام التلميذ صورة لتجمّع التلاميذ في ساحة المدرسة، وأمامهم المدير يخاطب تلميذا آخر خارجا عن الصف. وصورة لانصراف وخروج التلاميذ من المدرسة بشكل فوضوي غير نظامي، وأخرى لطفلة صغيرة تكتب على كراسها. فهذه الصّور – إذًا – لا تستطيع بهندستها وألوانها الفاترة أن ترسّخ وحدها بدون مصاحبة اللغة اللفظية قيمة النّظام والانضباط في المدرسة وكذا الاحترام والمودّة والسّلوك الحسن، إذ لن يفهم المتعلّم هذه القيم من تلك الصّور المعروضة أمامه، فهي غير منتقاة بدقّة وبعيدة في محتواها عن مضمون الوحدة التعليمية . وعلى العكس من ذلك، إذ تتأكّد الوظيفة البصرية للصورة وقدرتها على ترسيخ الكفاءة المعرفية والقيم التربوية في صفحات أخرى من الكتاب.

ففي الصفحة 37 عرضت صور لرجال الحماية المدنية والهلال الأحمر الجزائري وهم يجسّدون فعلا مفهوم التضامن مع ضحايا زلزال بومرداس 2003 أو فيضان باب الوادي.

وكذلك الحال في الصفحة 42 التي تتحدّث عن قيمة احترام الدّور، فقد جاءت الصّور البصرية ناطقة قبل اللّفظ، إذ تستطيع أن تنقل وحدها المقاربة المقصودة من الوحدة التعليم (الحياة الاجتماعية. فقد أورد صانعوا هذا الكتاب صورا متقابلة لسلوكات مرفوضة وأخرى مقبولة كصورة تدافع التلاميذ بشكل فوضوي لأجل الظفر بكرسي داخل حافلة النّقل المدرسي تقابلها صورة تلاميذ في طابور منظّم ينتظرون دورهم في هدوء لأجل ركوب الحافلة . فالصّورة البصرية هنا وفقّت وحدها وبمعزل عن النّص في تعزيز المهارة المعرفية وترسيخ قيمة النظام في لا شعور الفرد أو الجماعة.

خاتمـــــة:

هذه – إذًا – قراءة لحضور الصورة البصرية التّصويرية التعليمية المحسوسة في كتب التاريخ والجغرافيا والتربية المدنية للسنة الثالثة ابتدائي؛ قراءة حاولت أن تجمع بين الوصف والاستقراء والتقييم لأنواعها وأدوارها وقدرتها على تسريع توصيل المعرفة الاجتماعية وترسيخها في ذهن المتعلّم وآليات توظيفها والأهداف المنوطة منها في ظلّ الإصلاح التربوي الذي يُنادي به هذا القطاع في خطوة هامّة لاستكشاف واقع الكتاب المدرسي وفعالية صناعته لربطه بمظاهر الحياة الاجتماعية، حتى يغدو الكتابُ انعكاسا مباشرا للمجتمع وأحداثه وتغيّراته السّلبية أو الإيجابية.

ومن المفيد أخيرا أن يدرك المعلّم أنّ نجاح رسالته التعليمية وحسن تواصل المتعلّم مع الكتاب المدرسي وملازمته له يقوم أساسا على ربط الّدرس بالصورة التعليمية التربوية وحسن استغلالها بما يسمح للمتعلّم بحسن اكتساب مصادر المعلومة والمفاهيم وإيجاد تفسيرات للتّغيرات المحيطة به . ويمكّنه من جودة وصف الأشياء(24) . فالكتاب المدرسي لا بدّ أن تراعى في صناعته أمور ترتبط جميعها بالمحتوى و الأهداف و المناهج والإخراج .

الهوامـــش و المراجـــع

1- عبد العظيم الفرجاني، تكنولوجيا إنتاج المواد التعليمية، دار غريب، مصر 2002، ص20-22.

2- نفسه، ص39-40.

3- الوثيقة التربوية المرافقة لمنهاج مواد العلوم الاجتماعية للسنة الثالثة ابتدائي ، مديرية التعليم الأساسي جوان 2011 ، ص 23

4 - محمد شبون، الصورة في الكتاب المدرسي، السنة الأولى من التعليم الثانوي، الكويت، 2004، ص24.

5- عبد العظيم الفرجاني، المرجع السابق، ص41، والطويجي حسين مهدي، وسائل الاتصال وتكنولوجيا التعليم، دار العلم، الكويت، 1988، ص23-25.

6 - سعيد بن كراد، السميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار للنشر، سوريا، 2005، ط2، ص120-121.

7 - إسكندر كمال، العلاقة بين أنماط الصورة والرسوم التوضيحية للكتب المدرسية، مجلة تكنولوجيا التعليم، الكويت، 1986، عدد 19، ص18.

8- الوثيقة التربوية للمنهاج، اللجنة الوطنية للمنهاج، مديرية التعليم الأساسي، ديسمبر 2003، ص38-40.

9- نفسه، ص87.

10 – الوثيقة التربوية المرافقة لمنهاج مواد العلوم الاجتماعية للسنة الثالثة ابتدائي ، مديرية التعايم الأساسي جوان2011 ـ ص 8-

11- ينظر كتاب التاريخ للسنة الثالثة ابتدائي ، ديوان المطبوعات المدرسية ، 2011 نفسه، ص23

12- نفسه ، ص30-32.

13 - ينظر مقدمة كتاب الجغرافية، السنة الثالثة ابتدائي، إشراف بلقاسم ناصر ومحمد عبد الله، ديوان المطبوعات المدرسية 2011-2012.

14 -مثل كتاب التاريخ

15- نفسه، ص26، 27، 30 مثلا.

16 -الوثيقة التربوية لمنهاج التعليم الأساسي، ص15.

17 – ينظر كتاب الجديد في التربية المدنية للسنة الثالثة ابتدائي، إشراف محمد شريف عميروش، 2011-2012، ص7،9.

18 -ينظر مقدّمة الكتاب، الجديد في التربية المدنية للسنة 3 ابتدائي.

19 -ينظر نفسه، ص35، 36، 37، 42 مثلا.

20 - ينظر نفسه، ص26، 31، 36.

21 –ينظر نفسه .

22 – الوثيقة التربوية المرافقة لمنهاج مواد العلوم الاجتماعية ، ص 13

المراجـــــــع

1.إسكندر كمال : العلاقة بين أنماط الصورة والرسوم التوضيحية للكتب المدرسية، مجلة تكنولوجيا التعليم ، الكويت 1986
2.سعيد بن كراد : السميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، دار الحوار للنشر سوريا ، 2005 ، ط2
3.عبد العظيم الفرجاني : تكنولوجيا إنتاج المواد التعليمية ، دار غريب مصر 2002
4.الطوبجي حسين مهدي : وسائل الاتصال وتكنولوجيا التعليم ، دار العلم الكويت 1988
5.محمد شبون : الصورة في الكتاب المدرسي للسنة الأولى ثانوي الكويت 2004
6.الوثيقة التربوية المرافقة للمنهاج السنة الثالثة من التعليم الابتدائي ، مديرية التعليم الأساسي ، ديسمبر 2003
7.الوثيقة التربوية المرافقة لمنهاج مواد العلوم الاجتماعية للسنة الثالثة من التعليم الابتدائي جوان2011،
8.كتاب التاريخ للسنة الثالثة من التعليم الابتدائي ديوان المطبوعات المدرسية الجزائر 2011
9.كتاب الجغرافيا للسنة الثالثة من التعليم الابتدائي إشراف محمد عبدالله ، ديوان المطبوعات المدرسية الجزائر 2011-2012
10. كتاب الجديد في التربية المدنية للسنة الثالثة من التعليم الابتدائي ، إشراف عميروش محمد ، ديوان المطبوعات المدرسية ، 2011-2012